التغير الانفعالي في الشيخوخة:

يتصل التغير الانفعالي في الشيخوخة بمدى نجاح الفرد أو إخفاقه في عمليات التكيف التي تفرضها عليه بيئته المتطورة وحياته المتغيرة، وتميل انفعالات الشيخوخة إلى تلخيص السلوك الانفعالي لمراحل الحياة كلها في مرحلة واحدة وهي في تلخيصها هذا تؤكد مرحلة الطفولة أكثر مما تؤكد المراهقة، وتؤكد المراهقة أكثر مما تؤكد مرحلتي الرشد ومنتصف العمر، ثم تنتهي من ذلك كله إلى تأكيد نفسها في انفعالاتها كمرحلة لها خصائصها التي تميزها عن أي مرحلة سابقة لها.

بالإمكان أن نلخص اهم انفعالات الطفولة التي تعود إلى الظهور مرة أخرى في الشيخوخة إلى النواحي التالية:

1. انفعالات المسنين ذاتية المركز، تدور حول أنفسهم أكثر مما تدور حول غيرهم وتؤدي هذه الذاتية إلى نمط غريب من أنماط السلوك الأناني الذي قد لا يتفق في مظهره العام وما يتوقعه الأحفاد من سلوك الأجداد.
2. لا يتحكم المسنين تحكماً صحيحاً في انفعالاتهم المختلفة شأنهم في ذلك شأن الأطفال الذي يعجزون عن ضبط مشاعرهم.
3. تتميز انفعالاتهم بالعناد وصلابة الرأي، وقد يؤدي هذا العناد إلى السلوك المضاد ولذا نجد الشيوخ يثورون لأوهام لا حقيقة لها، وعندما تتكشف لهم الأمور ويدركون خطأهم فانهم يراوغون ويظلون في إصرارهم وعنادهم.
4. وعندما يغضب المسنون فإنهم غالباً ما يثورون كالأطفال إلا انهم بالرغم من عنادهم وغضبهم أكثر قابلية للاستهواء، كما انهم يميلون إلى المديح والإطراء والتشجيع.

وتتشابه انفعالات المسنين مع انفعالات المراهقين في النواحي التالية:

1. أنهم في كثير من انفعالاتهم مذنبون شأنهم شأن المراهقين قبل أن يصل بهم نموهم الانفعالي إلى النضج الذي تتطلبه طبيعة نموهم ومطالب حياتهم.
2. يسخر المسنون من الأجيال الأخرى، ويجدون زمانهم كان أفضل الأزمان، وأن جيلهم كان أحسن من غيره.

د. محمد عبد مطشر اللامي

3. كما تتميز انفعالات المراهقة بالاندفاع، تتميز أيضا انفعالات الشيخوخة في بعض نواحيها بصورة مختلفة من هذا الاندفاع العاطفي.
4. وكما يحاول المراهق أن يفرض شخصيته ليؤكد ذاته كي يتخلص من خضوع الطفولة، كذلك يحاول المسن أن يفرض شخصيته في سيطرة غريبة لإبعاد الضن انه بدأ يضعف ويهرم.

وتكاد مرحلة الشيخوخة ان تتمايز في سلوكها الانفعالي عن بقية المراحل الأخرى للحياة في النواحي التالية:

1. يقف احياناً المسنون من البيئة المحيطة بهم موقفاً سبياً لا ينفعلون لها او معها، وكأنهم بذلك يعبرون عن الهوة السحيقة التي تفصلهم عن الأجيال الأخرى التي تضطرب بها الحياة من حولهم.
2. وتتصف انفعالاتهم بالخمول ولادة الحس، وقد يرجع ذلك إلى عدم إدراكه المسؤولية التي تواجه من يحيطون به فهو يمضي في حياته ومشاكل الناس حوله تدفعهم إلى الكفاح وهو لا يشعر نحوهم بأية مسؤولية تتطلب منه استجابة محددة.
3. يغلب على انفعالاتهم التعصب الذي لا يقوم في جوهره على أساس، فهم يتعصبون لجيلهم ولآرائهم ولعواطفهم ولكل ما يمت إليهم بصلة قريبة.
4. يشعرون بأنهم مضطهدون في حال لم يتقبل الآخرون مواقفهم ويؤدي بهم الشعور بالاضطهاد إلى الشعور العميق بالفشل فيجابهون الاضطهاد الذي يقع عليهم باضطهاد الآخرين.

وهكذا نرى أن انفعالات الشيوخ في جوهرها مزيج من انفعالات الحياة كلها من طفولتها إلى شيخوختها وقد يحدد نوعها وتواتر ظهور بعضها واختفاء البعض الآخر مدى تكيف الفرد لنفسه وتكيفه مع بيئته وما يعتريها من تطور، ومدى تقبل الناس للشيوخ ومدى إهمالهم لهم.

د. محمد عبد مطشر اللامي